دلالات الحذف والذكر في السياقات القرآنية

الدكتور/محمد الأمين خويلد – كلية الآداب
- جامعة الجلفة– الجزائر

الحذف علاقة يجب أن تفهم في ضوء مجموعة العلاقات الأخرى، وخاصة العلاقة المقابلة، وهي الذكر، وليس من المحتم أن تكون سياقات الذكر عكس سياقات الحذف، بل قد يتواردان في سياق واحد ما دام هذا السياق في حاجة إلى أي منهما، ولن تظهر بلاغة الحذف في ثنايا التركيب إلا بوضع الذكر في الاعتبار، أو بمقارنة سياق الحذف بعد حذف شريحة من الكلام بسياق الذكر حين نضع هذه الشريحة مكانه.[1] ويسهم الحذف والذكر في الآيات المتشابهات في إبراز العديد من الأغراض، سواء أكان المحذوف حرفا أو كلمة أو أكثر.

1– حذف الحرف:

تحدّث ابن جني في (الخصائص) عن زيادة الحروف وحذفها و نبّه إلى عدم جواز الحذف و الزّيادة في موضع واحد من الكلام، لأنّ ذلك يؤدي إلى التناقض،[2] ولكن ما نحن بصدده هو حذفه في موضع، وذكره في موضع آخر، والمقارنة بين الموضعين هي التي تكشف لنا بلاغة السياق القرآني المتشابه ومظاهر إعجازه .

وقد ورد حذف الحرف في القرآن الكريم في مواضع متعدّدة، ولمعرفة حذفه ضابطان؛ الأوّل: دلالة الحرف المحذوف على معنى مع بقاء

هذا المعنى بعد الحذف،[3] والثّاني: اعتبار الحرف محذوفاً بالقياس على موضع آخر مماثل ورد فيه الحرف دون حذف.[4]

فمن النّوع الأوّل حذف حرف النّداء "الياء". وهو كثير في القرآن الكريم حيث لم يأت في القرآن حذف أداة نداء سواه، ولأنّ العلماء صرّحوا أنّ أداة النّداء إذا حذفت وجب أن يقدر المحذوف ياءً، لأنّها أمّ الباب،[5] ومنه قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ [الرّحمان 31].

وفي النّوع الثّاني يعد الحرف محذوفاً في موضع قياساً على موضع آخر ذكر فيه، و أمثلة ذلك في القرآن كثيرة.[6]

من ذلك حذف الواو، ومنه قوله تعالى: ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾.[البقرة 5]. وقوله: ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾، (الأعراف 179)، وحكمته أنه قد اختلف الخبران في سورة (البقرة)، فلذلك دخل العاطف، بخلاف الخبرين في (الأعراف)، فإنهما متفقان، لأن التسجيل عليهم بالغفلة، وتشبيههم بالبهائم واحد ، فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى، فهي من العطف بمعزل.

ومنه قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾. (البقرة 6). وقوله: ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ (يس 10)، مع العاطف، وحكمته أن ما في (يس)، وما بعده جملة معطوفة على جملة أخرى، فاحتاجت إلى العاطف، والجملة هنا ليست معطوفة، فهي من العطف بمعزل.[7]

ومنه قوله تعالى حاكيا عن شعيب : ﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون﴾. (هود 93) . وأمر نبينا صلى الله عليه وسلم أن يخاطب قريش بـــ﴿ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ (النحل55).

ويمكن أن يقال: لما كررت مراجعته لقومه، ناسب اختصاص قصته بالاستئناف الذي هو أبلغ في الإنذار والوعيد، وأما نبينا صلى الله عليه وسلم، فكانت مدة إنذاره لقومه قصيرة، فعقب عملهم على مكافأتهم بوعيدهم بالفاء، إشارة إلى قرب نزول الوعيد لهم، بخلاف شعيب، فإنه طالت مدته في قومه، فاستأنف لهم ذكر الوعيد، ولعل قوم شعيب سألوه السؤال المتقدم، فأجابهم بهذا الجواب، والفاء لا يحسن فيه، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل ذلك جوابا للسؤال، ولا يحسن معه الحذف.[8]

ومنه قوله تعالى في شأن أهل النّار: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. [الزمر 71]، في هذه الآية حذف حرف الواو، بدليل ذكرها في موضع آخر مماثل لهذا الموضع،[9] وهو قوله تعالى في شأن أهل الجنّة: ﴿وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ إِلَى الجنّة زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[الزمر73].

لقد دلّ الحذف في الأولى على أنّ أبواب جهنّم فتحت حيث جاءوها لأنّ "إذا "ظرف لما يستقبل من الزّمن و"فتحت" جوابها، والذّكر في الثّانيّة دلّ على أنّ أبواب الجنّة كانت مفتّحة قبل أن يأتوها. فلماذا –إذن– كانت أبواب جهنّم مغلقة ثمّ فتحت حين جاءوها، وأبواب الجنّة مفتحة قبل أن

يأتوها، والجواب: أنّ جهنّم سجن؛ والسجن ذلك شأنه: حرّاس شداد وأبواب محكمة الإيصاد؛ قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾. [البلد 20]. والجنّة دار كرامة وتشريف، فللتّرحيب بهم استعدّت لهم قبل وصولهم؛[10] قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ مُفَتَّحَةٌ لَهُمْ الأَبْوَاب﴾. [ص 50].

فأثبت الواو في الأولى، وحذفها في الثانية، وإنما تركت الواو في النار لأنها مغلقة، وكان مجيئهم شرطا في فتحها، فقوله "فتحت" فيه معنى الشرط، وأما قوله "وفتحت" في الجنة، فهذه واو الحال، كأنه قال: (جاءوها وهي مفتحة الأبواب، أو هذه حالها)، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ مفتحة لهم الأبواب﴾ (ص 50)، ولأن العادة مطردة في إهانة المعذبين بالسجون من إغلاقها، حتى يردوا، وإكرام المنعمين بإعداد فتح الأبواب لهم، مبادرة واهتماما.[11]

ومنه قوله تعالى في قصة ثمود: ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين﴾ (الشعراء 154). وفي قصة شعيب : ﴿وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين﴾ (الشعراء 186). والفرق أن الكلام في الأولى جرى على انقطاع الكلام عند النحويين، واستئناف (ما أنت)، فاستغني عن الواو، لما تقرر من الابتداء، وفي الثانية جرى الكلام في العطف، وأن يكون قوله: ﴿وما أنت﴾ معطوف على ﴿إنما أنت﴾ في الآية التي قبل هذه الآية وهي: ﴿ قالوا إنما أنت من المسحرين ﴾ (الشعراء 185).

قال الزمخشري: " فإن قلت : هل اختلفت المعنى بإدخال الواو ههنا، وتركها في قصة ثمود ؟ قلت: إذا أدخلت الواو، فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم: التسحير والبشرية ، وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحرا ، ولا يجوز أن يكون بشرا ، وإذا تركت الواو ، فلم يقصد إلا معنى واحدا، وهو كونه مسحرا ، ثم قرر بكونه بشرا مثلهم".[12]

وقد يحذف حرف الجرّ"الباء"، ومنه قوله تعالى: ﴿...جَاءُوا بِالبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾. [آل عمران 184]. و قوله تعالى: ﴿...جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾. [فاطر 25]، هذان موضعان متماثلان، وقد خولف بينهما، فجاء التّعبير في آية (آل عمران) بعطف (الزّبر) و(الكتاب المنير) على (البيّنات) محذوفا منها حرف الجر "الباء" الدّاخلة على المعطوف عليه، وهذا حسن فصيح، ثمّ جاء التّعبير في آية (فاطر) مذكوراً فيه حرف الجر"الباء" في المعطوفيْن، (بالزّبر)، و(بالكتاب المنير)، فما السّبب في ذلك؟.

إنّ ذكر الحرف في المواضع الثّلاثة؛ المعطوف عليه؛ و المعطوفان؛ جاء في سورة (فاطر) وهي مكيّة النّزول، فهي إذا أسبق وجودا بين النّاس، بهذا الاعتبار فهي مؤسسة للمعنى الوارد فيها بخلاف ما في (آل عمران) لأنّها مدنيّة النّزول، وقوم مكّة يختلف حالهم عن القوم في المدينة من حيث الاستجابة إلى الدّعوة و الإسراع إلى الإيمان، فأهل مكّة أهل عناد وتحدٍّ، وأهل المدينة أهل إسلام وطاعة.[13]

إذاً فهذان الاعتباران يفيدان أنّ المقام في مكّة كان يقتضي التّأكيد في المعاني لتقريرها و رسوخها لتتناسب مع حالة الإنكار الّتي كانوا عليها، وعلى هذا جاء التّعبير في (فاطر) المكيّة، لأنّ تكرار حرف الجرّ في المواضع الثّلاثة يشعر بتكرار المتعلّق، فكأنّه قال: جاءوا بالبيّنات، وجاءوا بالزّبر، وجاءوا بالكتاب المنير، وخلا التّعبير المدني من هذا التّكرار لعدم الحاجة إليه، لإسلام أهل المدينة و طاعتهم.[14]

إذا فالفرق أن الأولى حذفت الباء فيها للاختصار، استغناء بالتي قبلها، والثانية خرجت عن الأصل، للتوكيد، وتقدير المعنى، كما تقول: مررت بك، وبأبيك، وبأخيك، إذا اختصرت.[15]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَ الأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.[البقرة 164]، حذف حرف الجرّ "من" بدليل ذكره في موضع مماثل، وهو قوله تعالى: ﴿وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾. [العنكبوت 63]، فـ"من" محذوفة في الموضع الأوّل، مذكورة في الموضع الثاني، فما السرّ في الحذف هناك، والذكر هنا؟.

ذكرت "من" في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾. [العنكبوت 63] لزيادة البيان والتّأكيد ليناسب به ما تقدّم من قوله تعالى: ﴿مَنْ نَزَّلَ﴾، فإنّ بنية فَعَّلَ للمبالغة والتّكثير، فنوسب بينهما، وحذفت "مِن" في البقرة لأنّه لم يقع في الآية إلاّ لفظ "أنزل"، ولا مبالغة فيها، ولا تأكيد، إذ لم يكن فيها ما يستدعي زيادة "من".[16]

وفي قوله تعالى: ﴿...أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. [الكهف 72]. حذف حرف الجرّ "اللام" بدليل ذكره في موضع آخر مماثل لهذا الموضع، وهو قوله تعالى في قصّة قتل الغلام: ﴿...أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. [الكهف75]. فاللام محذوف في الموضع الأوّل مذكور في الموضع الثّاني، فما السرّ في الحذف هناك والذّكر هناك؟، و ما الّذي ترتّب على الحذف والذّكر من تغيير في المعنى؟ .

لقد كان لهذا الصّنيع أثره في الموضعين، فالحذف في الأولى دلّ على أنّ سؤال موسى عن خرق السّفينة كان نسياناً منه في قوله تعالى: ﴿...أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا...﴾. [الكهف71]، والمعنى أنّه نسي العهد الّذي كان بينهما من عدم سؤاله حتّى يكون هو المخبر له أوّلا،[17] قال الزّمخشري: «أراد أنّه نسي وصيّته ولا مؤاخذة على النّاسي».[18]

فقد سأل موسى –عليه السّلام– الخضر: ﴿...هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. [الكهف 67]. فلمّا كان من موسى عند خرق السّفينة ما كان من الإنكار بقوله: ﴿...أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا...﴾. [الكهف 71]، ذكّره الخضر بما كان قد قاله له من غير أن يزيد عليه،[19] فقال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. [الكهف 72].

والرد في الثّانيّة دلّ على زجر و إغلاظ الخضر، لأنّ موقعه التّساؤل بعد التّقدّم إلى ترك السّؤال، واستعذار موسى بالنّسيان أفضع وأغلظ في المخالفة لما كان أخذ على نفسه من الصّبر،[20] وقد أفاد الذّكر زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصيّة والوسم بقلّة الصّبر عند الكرّة الثانيّة.[21] فبعدما وقع من موسى إنكار قتل الغلام؛ وبالغ في وصف الفعلة بقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْرًا...﴾.[الكهف 74]. فقال الخضر﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ﴾. [الكهف 75]، وذلك لتأكيد الكلام المتقدّم، فـــالضمير المجرور بيان جيء به تأكيداً.[22]

ومجمل القول إنّ الحذف دل على خلو الكلام من التأكيد، فناسب نسيان موسى، والذكر تضمن التأكيد، فناسب عصيانه للخضر.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [الأنعام 165]، حذف لام التأكيد بدليل ذكره في موضعٍ آخر مماثل لهذا الموضع،

وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[الأعراف 165]. فلام التّأكيد محذوف في الموضع الأوّل، مذكور في الموضع الثّاني؛ فما السّرّ في الحذف هناك، والذّكر هنا؟.

إن الحذف في الأولى دلّ على تمام المقدرة على العقاب في يوم العقاب، وليس المراد سريعه،[23] فهو يدلّ على أنّ المذكورين في هذه الآية ليسوا بجملتهم ممّن استحقّ العقاب؛ لأنّ ذكر العقاب هنا تخويف يحمل المؤمنَ على استصحاب الرّغب والرّهب، وما ينبغي للمؤمن أن يكون عليه.[24]

أمّا الذّكر في الثّانية دلّ على السّرعة التي تقتضي التّحقّق؛ أي أنّ عقابه واقع غير متأخر، لأنّ التّأخر تقليل في التّحقق،[25] كما دلّ على أن العقاب خالص للمستحقين، بمجترحاتهم المفصحة عن كفرهم، فناسب تأكيد الخبر المنبيء بعقابهم، وسوء مآلهم.[26] خاصة وأنه قد تم ذكر المقصودين بهذا الوعيد، و ذكر مرتكباتهم السيّئة، و هو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنْ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ...﴾. [الأعراف 167] .

2–حذف الكلمة:

ورد حذف الكلمة في القرآن الكريم في مواضع متعدّدة، ولمعرفة حذفها ضابطان: الأوّل وجود قرينة لفظية أو حالية تدلّ عليها، و الثاني اعتبار الكلمة محذوفة بالقياس على موضع آخر– مماثل– وردت فيه مذكورة، وهو المقصود هنا.

فقد يحذف القرآن شيئا من آية اعتمادا على ذكره في آية أخرى، من ذلك قوله تعالى في كفارة الظهار: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعلمون خبير﴾. (المجادلة 3).

وقوله تعالى في كفارة القتل: ﴿ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة﴾. (النساء 92)، فإطلاق الرقبة في كفارة الظهار محمول على تقييدها بالمؤمنة في كفارة القتل.[27]

ومنه قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون﴾.(الصافات 175-179)

فقد ذكر المفعول في قوله: ﴿وأبصر فسوف يبصرون﴾ ، وحذفه في قوله: ﴿ وأبصر فسوف يبصرون﴾، لأن الآية الأولى اقتضت نزول العذاب بهم يوم بدر، فلما تضمنت التشفي قيل (أبصرهم)، وأما الثانية فالمراد بها يوم الفتح، واقترن بها مع الظهور عليهم، تأمينهم والدعاء إلى إيمانهم، فلم يكن وقتا للتشفي، بل للبروز، فقيل له: (أبصر)، والمعنى: فسيبصرون منك عليهم... .[28]

وفي قوله تعالى: ﴿وَ يَا آدَمُ أُسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾. [الأعراف 19]، حذفت كلمة "رغداً " بدليل ذكرها في موضعٍ آخر مماثل، و هو قوله تعالى: ﴿وَ قُلْنَا يَا آدَمُ أُسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾. [البقرة 135].

فكلمة "رغداً" محذوفة في الموضع الأوّل مذكورة في الموضع الثاني، والسرّ في الحذف أنّ معنى "من" في قوله تعالى ﴿من حيث شئتما﴾ في آية الأعراف تفيد التبعيض، وقد يسبق منه إرادة التقليل، وهو غير مراد هنا، وإنّما مصرف التبعيض هنا إلى المأكول منه، فإنّ ما اشتملت عليه الجنّة من ذلك إذا أكلت منه ذريّة آدم بأجمعها فإنّها تأكل بعضاً منه...، فالبعضيّة مرادة

بالنّظر إلى ما انطوت عليه الجنّة، فحذفت "رغداً" في سورة الأعراف لوجود ما يحرز ذلك المعنى من التّوسعة،[29] وذلك في قوله ﴿من حيث شئتما﴾ لإباحة ما في أماكنها، ومن المحال أن يباح لهما أكل من حيث شاءا منها على اتّساع المساحة و المأكل، ثمّ يحرز عليهما التوسّع في الأكل والترغّد فيه،[30] أمّا الذّكر في آية البقرة فدلّ على التّوسعة في المأكل لعدم وجود ما يحرز معناها وهو وجود "من".[31]

وفي قوله تعالى: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ...﴾. [آل عمران 133]. حذفت كلمة "عرض" بدليل ذكرها في موضع آخر مماثل، و هو قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ...﴾.[الحديد 21], فكلمة "عرض" محذوفة في الموضع الأوّل مذكورة في الموضع الثاني، والسرّ في ذلك أن الحذف في آية آل عمران، هو حذف المضاف "عرض"، وذلك يكون عند قصد المبالغة و التكثير، و كذلك من باب جعل الشيء نفس الشيء، أيْ أنّ عرض الجنّة هو السّماوات والأرض، و قد وردت السّماوات جمعاً للتعظيم و المبالغة، فتذهب نفس السامع كل مذهب.[32]

والذكر في آية الحديد، دلّ على التّحديد، حيث جعل عرض الجنّة مثل عرض السّماوات والأرض، وقد أفردت السّماء لتستوفي معنى التّحديد.[33]

وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. [الكهف 48]. حذفت كلمة "فرادى" بدليل ذكرها في موضع آخر مماثل، و هو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. [الأنعام 94]. فكلمة "فرادى" محذوفة في الموضع الأوّل مذكورة في الموضع الثّاني، و السرّ أنّ الحذف في آية الكهف دلّ على أنّ الله يحشر النّاس عراةً لا شيء معهم

كما خلقهم أوّل مرّةٍ، أو لقد بعثناكم كما أنشأناكم،[34] أو مجرّدين من كلّ متعلّقٍ،[35] أو حفاةٌ عراةٌ عزّل.[36]

ودلّ الذّكر في آية الأنعام على أنّ النّاس يحشرون منفـــردين عمّا كانوا يؤمّلون من أندادهم و معبوداتهم من دونه سبحانه[37]. أو أعددناهم بلا معينٍ و لا ناصر،[38] أو "منفردين" عن كلّ ما كانوا يعتزّون به فـــي الحياة الدّنيا من مالٍ و ولدٍ و أنصارٍ.[39]

و في قوله تعالى: ﴿وَ مَا ظَلَمَهُمْ اللهُ وَ لَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. [آل عمران 117]. حذفت كلمة "كانوا" بدليل ذكرها في موضع آخر مماثل، و هو قوله تعالى: ﴿وَ لَكِنْ كانوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. [النّحل 33]. إذاً فهي محذوفة في الموضع الأوّل مذكورة في الموضع الثاني، و قد دلّ الحذف على فعل الحال في حاضرين،[40] و الآية إنّما نزلت في المعاصرين لرسول الله صلّى الله عليه و سلّم عند نزول الآية، فورد الإخبار مسوقاً لحالهم في وقت نزول الآية، و ما يلي ذلك متّصلاً به من الزّمان، فلم يكن دخول "كان" الّتي تقتضي وقوع الشيء فيما تقدّم من الزّمان.[41]

أمّا الذكر في آية النّحل فدلّ على الإخبـــار عمّن تقدّم زمـــانهم، و وعظ به غيرهم، و بيّن ذلك قوله تعالى: ﴿كذلك فعل الّذين من قبلهم﴾. [النّحل 33].

و فـــي قوله تعالى: ﴿وَ أُحِلَّتْ لَكُمْ الأَنْعَامُ﴾. [الحج 30]. حذفت كلمة "بهيمة" بدليل ذكرها في موضع آخر مماثل و هو قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾. [المائدة01], فكلمة "بهيمة" محذوفـــة فـــي الموضع الأوّل مذكورة في الموضع الثاني، والسرّ في الحذف أنه قد دلّ على

أنّ المقصود بالأنعام إنّما هو الأزواج الثمانية، و أنّ الله قد أحلّ لكم الأنعام كلّها إلاّ ما استثناه في كتابه.[42]

ودلّ الذّكر على أنّ المقصود بالأنعام هو الضّباء و بقر الوحش، لذلك أضيفت إلى بهيمة للبيان، و كأنّهم أرادوا ما يماثل الأنعام و يدانيها من جنس البهائم في الإجترار وعدم الأنياب، فأضيفت إلى الأنعام لملابسة الشّبه.[43]

3–حذف أكثر من كلمة:

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. [يوسف 22]. حذفت من هذه الآية "و استوى" بدليل ذكرها في موضع آخر مماثل، وهو قوله تعالى: ﴿وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. [القصص14], فـــ "و استوى" محذوفة في الموضع الأوّل مذكورة في الموضع الثاني، والسرّ في هذا الحذف أنّ يوسف –عليه السّلام– جاءه الوحي حال إلقائه في الجبّ، قال تعالى: ﴿وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَ هُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾. [يوسف 15]. و حال يوسف في الجبّ و إن بلغ ما يسمّى أشدّه غير حالة الإستواء، لذلك حذف فعل الاستواء من قصّته.[44]

أمّا الذّكر في آية القصص دلّ على أنّ موسى–عليه السّلام– إنّما أبتدئ بالوحي وسماع الكلام بعد فراره خوفاً من فرعون، قال تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. [الشعراء 21]، و أفصحت آيُ القرآن أنّ ذلك كان بعد رجوعه، وإنكاح شعيب –عليه السّلام– إيّاه ابنته، و لم يخرج من مصر حتى ائتمر عليه القوم لقتله، ومجموع هذا أنّ خروجه –عليه السّلام– عن سنّ الإبتداء إلى اكتمال

الأشدّ و هو الإستواء، فقيل في قصّته "و استوى"، أيْ: اكتمل، وانتهى إلى أحسن الحالات في السّن.[45] و لم يبعث الله نبيّا إلا على رأس أربعين سنة.[46]

وفي قوله تعالى:﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلأَيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبّ الْعَالَمِينَ﴾. [الزخرف 46]. حذف من هذه الآية "وسلطانٍ مبين" بدليل ذكرها في موضع آخر مماثل، و هو قوله تعالى: ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلأَيْهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾. [هود 96-97].

فالحذف في (الزخرف) ناسب مقتضى المقصود من الآيات الّتي تبيّن أنّ الله أرسل سيّدنا موسى إلى فرعون و ملأيْه، و قد أيّده بآيات حتى تتضح حجّته،[47] و في (هود) ورد في الآية ما يتطلّب الذكر، قال تعالى: ﴿... فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ فـــ "سلطان مبين" يراد بها أنّ هذه الآيات فيها سلطان مبين لسيّدنا موسى على صدق نبوّته أو يراد بـــ "سلطان مبين" العصا.[48] و جيء بـــ "سلطان مبين" لتأييد سيّدنا موسى عليه السّلام في مقابل تجبّر فرعون و اتّباع الملإ له.[49]

و في قوله تعالى:﴿وَ للهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. [النّحل 60]. حذفت "في السّماوات و الأرض" بدليل ذكرها في موضع آخر مماثل، وهو قوله تعالى:﴿...وَ لَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِـــي السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. [الرّوم 27].

وقد ناسب الحذف في (النّحل) مقتضى المقصود، حيث تقدّم قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةْ مَثَلُ السُّوءِ﴾ [النّحل 60]، فقوبل بحسب التفـــصيل و مقتضى التقابل، بقوله تعالى: ﴿وَ للهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾، و لذلك حذفت.[50]

أمّا الذّكر في آية (الرّوم)، فتقدّمه قوله تعالى: ﴿وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾. [الروم 26]. ثمّ قوله تعالى: ﴿وَ هُوَ الّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ...﴾. [الروم 27]. لذلك جيء بما يناسب ما تقدم، فذكرت "في السّماوات و الأرض"،[51] فسبحان من ﴿ لَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

*** قائمة المصادر والمراجع:**

– القرآن الكريم.

1– ابن جني (أبو الفتح عثمان) . الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.

2– أبو حيان (محمد بن يوسف التوحيدي الأندلسي). البحر المحيط، تحقيق الشيخ زهير جعيد, دار الفكر للطباعة و النشر, لبنان, 1412هـ–1992م.

3– ابن الزبير (أحمد بن إبراهيم). ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد و التعطيل في توجيه متشابه اللفظ في آي التنزيل، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، (دط)،(دت).

4– الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله). البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر،الطبعة الثالثة،1980م.

5– الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر). الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق محمد حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1987م.

6– ابن عاشور. تفسير التحرير و التنوير،الدار التونسية للنشر، (تونس)،المؤسسة الوطنية للكتاب(الجزائر)، (دط)،.1984

7- عبد العظيم إبراهيم محمّد المطعي, "خصائص التعبير القرآني",وسماته البلاغية مكتبة وهبة القاهرة ط1 .1992.

8- مختار عطية الإيجاز في كلام العرب دار المعرفة الجامعية 1997

9- محمود السيد من أسرار البلاغة في القرآن. المطبعة العربية الحديثة القاهرة

10- ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تقديم حسن حمد، إشراف ميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية لبنان، الطبعة الأولى، 1418ه/1998م.

الهوامش:

[1] د. مختار عطية الإيجاز في كلام العرب ص41-42.

[2] يراجع: ابن جني, الخصائص, ج2, ص 63.

[3] عبد العظيم ابراهيم محمّد المطعي، "**خصائص التعبير القرآني**", ج2, ص 7.

[4] المرجع نفسه، ج2، ص 7.

[5] ابن هشام, "**مغني اللبيب**", ج2, ص 422.

[6] عبد العظيم ابراهيم محمّد المطعي, **خصائص التعبير القرآني**, ج2, ص 11.

[7] د محمود السيد . من أسرار البلاغة في القرآن ص 42

[8] الكشاف ج ص د محمود السيد . من أسرار البلاغة في القرآن ص 44

[9] عبد العظيم إبراهيم محمّد المطعي, **خصائص التعبير القرآني**, ج2, ص 11.

[10] المرجع نفسه, ج2, ص 12.

[11] الزركشي البرهان ج3 .189-190.

[12] د محمود السيد . من أسرار البلاغة في القرآن ص 42_43

[13] عبد العظيم إبراهيم محمّد المطعي, **خصائص التعبير القرآني**, ج2, ص 18.

[14] المرجع نفسه, ج2, ص18- 19.

[15] د محمود السيد . من أسرار البلاغة في القرآن ص 43

[16] ابن الزبير, **ملاك التّأويل**, ج1, ص 245.

[17] أبو حيّان, "**البحر المحيط**", ج7, ص 207.

[18] الزمخشري, "**الكشّاف**", ج2, ص 493.

[19] ابن الزبير, "**ملاك التأويل**, ج2, ص 789.
[20] أبو حيّان, **البحر المحيط**, ج7, ص 209.
[21] الزمخشري, **الكشاف**, ج2, ص 494.
[22] ابن الزبير, **ملاك التأويل**, ج2, ص 789–790.
[23] يراجع: محمّد الطاهر بن عاشور, " **التحرير و التنوير**", ج7, ص 212.
[24] يراجع: ابن الزبير, **ملاك التأويل**, ج1, ص 486.
[25] محمّد الطاهر بن علشور, **التحرير و التنوير**, ج9, ص 156.
[26] ابن الزبير, **ملاك التأويل**, ج1, ص 486.
[27]. د محمود السيد . من أسرار البلاغة في القرآن ص 41
[28] محمود السيد . من أسرار البلاغة في القرآن ص 46
[29] ابن الزبير, **ملاك التأويل**, ج1, ص 188.
[30] المصدر نفسه, ج1, ص 189.
[31] المصدر نفسه, ج1, ص 189.
[32] المصدرالسابق, ج1, ص 319.
[33] المصدرالسابق, ج1, ص 319.
[34] الزّمخشري, **الكشاف**, ج2, ص 487.
[35] ابن الزّبير, **ملاك التأويل**, ج2, ص 462.
[36] أبو حيّان, **البحر المحيط**, ج7, ص 187.
[37] ابن الزّبير, **ملاك التأويل**, ج2, ص 462.
[38] أبو حيّان, **البحر المحيط**, ج4, ص 587.
[39] الزّمخشري, **الكشاف**, ج2, ص 36.
[40] أبو حيّان, **البحر المحيط**, ج4, ص 316.
[41] ابن الزّبير, **ملاك التأويل**, ج2, ص 313.
[42] الزمخشري, **الكشاف**, ج3, ص 12.
[43] المصدر نفسه, ج5, ص 591.
[44] ابن الزبير, **ملاك التأويل**, ج2, ص 677.
[45] المصدر نفسه, ج2, ص 677.
[46] الزمخشري, **الكشاف**, ج3, ص 168.

[47] المصدر السابق, ج3, ص 490.
[48] مصدر السابق, ج3, ص 291.
[49] المصدر السابق, ج2, ص 291.
[50] يراجع: ابن الزبير, **ملاك التأويل** مصدر سابق, ج2, ص 743.
[51] يراجع : المصدر السابق, ج2, ص 743.